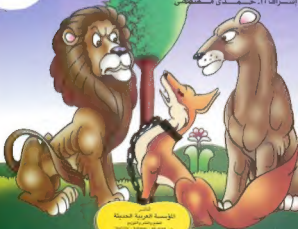


كايات كليله ودمنه

3

دمنه مجرماً

بقلم: ا. عبد الحميد عبد القصود
برئاسة: ا. عبد الشافي سيد
إشراف: ا. حمدي منصور



الكاتب
الأستاذة العربية الحديثة
الطبيب النفسي والصيد
د. محمد علي
مطبعة

لَمَّا انْتَهَى الأسد مِنْ قَتْلِ صَنِيْقِهِ الثَّوْرَ (شَبْرَبَةَ)
 اسْتَرْعَ (دِمْنَةَ) إِلَى أَخِيهِ (كَلْبِلَةَ) وَأَخْبَرَهُ أَنَّ حَبْلَتَهُ
 قَدْ نَجَحَتْ فِي الْإِيقَاعِ بَيْنَ الْأَسَدِ وَ(شَبْرَبَةَ) وَأَنَّهُ قَدْ انْتَهَى
 مِنْ عَذْوِهِ الثَّوْرَ ، وَتَخَلَّصَ مِنْهُ إِلَى الْآبَتِ ..
 فَحَزَنَ (كَلْبِلَةُ) حَزْنًا شَدِيدًا ، وَقَالَ لَهُ :

- لَقَدْ نَهَنْتُكَ عَنِ الْمَشَى بِالْمَيْمَةِ ، وَالْإِيقَاعِ بَيْنَ الْأَبْرِيَاءِ
 بِالْكَذِبِ وَالرُّوَرِ وَالْبَهْتَانِ ، حَتَّى تَخْلُصَ مِنْ عَذْوِكَ بِهِمْ
 الْحَبْلَةَ الدَّنِيئَةَ ، وَالْفَعْلَةَ الْخَسِيسَةَ ..

لَكِنَّكَ لَمْ تَنْصَبْ إِلَى كَلَامِي ، وَلَمْ تَسْتَمَعْ إِلَى نَصِيحَتِي ،
 حَتَّى تَسْبِيْبَتْ فِي قَتْلِ بَرِيءٍ ..

فَضَحِكَ (دِمْنَةُ) سَاخِرًا وَقَالَ :

- الْغَايَةُ تَبْزُرُ الْوَسِيلَةَ ، وَلَقَدْ كَانَتْ غَايَتِي شَرِيفَةً وَهِيَ
 أَنْ اسْتَرِدَّ مَكَانَتِي الرَّقِيعَةَ عِنْدَ الْأَسَدِ ، فَلَيْسَ مَهْمًا
 إِنْ مَاتَ الثَّوْرُ أَوْ لَمْ يَمُتْ ..



فَقَالَ (كَلِيلَةُ) :

- اَلَيْتَ اَنَا نِيَّ وَخَفِيرٌ خَسِيسٌ ، لَا تَهْتُمُّ اِلَّا بِتَخْطِيقِ مَصْلَحَتِكَ
الشَّخْصِيَّةِ ، حَتَّى لَوْ طَارَتْ رَعُوسٌ ..

وَكَانَ النَّمِرُ يَمُرُّ قَرِيبًا مِنْهُمَا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، فَسَمِعَ
الْمُحَاوِرَةَ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَ (كَلِيلَةَ) وَ(دُمَّةَ) وَحَفِظَهَا فِي رَأْسِهِ
وَكَمَنْ حَتَّى يَسْتَمَعَ بَقِيَّةَ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ (كَلِيلَةُ) :

- لَقَدْ جَنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ جَنَاحًا كَبِيرَةً ، وَحَكَمْتَ عَلَيْهَا بِالْمَوْتِ
اِذَا انْكَشَفَ امْرُؤٌ لِلْأَسَدِ ، وَغَرَفَ غَدْرَكَ ، فَلَنْ يَكْتَفِيَ بِفُتُوكِ ، مَخَالَةَ
شُرَكَ وَغَدْرِكَ ، وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ فَلَمْ تَسْتَمِعْ لِنَصِيحِي ، وَلَا بُدَّ لِي مِنْ
مُفَارَقَتِكَ وَالْإِيتْعَارِ عَنْكَ ..

فَلَمَّا سَمِعَ النَّمِرُ كَلَامَهُمَا ، وَعَلِمَ بِخِيَانَةِ (دُمَّةَ) لِعَهْدِهِمْ وَتَسَبُّبِ
فِي قِتْلِ الشُّورِ (شَيْثَرِيَّةَ) ابْتَعَدَ عَنْهُمَا وَهُوَ يَتَعَجَّبُ
مِمَّا سَمِعَ ..



أَمَّا الْأَسَدُ فَإِنَّهُ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ الثَّوْرَ نَدِمَ نَدَمًا شَدِيدًا وَقَالَ :
 - لَقَدْ فُجِئْتُ بِقَتْلِ أَعْرَأُ أَصْحَابِي ، وَخَيْرٌ مُسْتَشَارِي وَالْأَمْلُ
 نَاصِحَ أَمِينٍ لِي : كَيْفَ حَدَّثْتُ ذَلِكَ فِي لَحْظَةٍ غَضَبٍ مِنِّي ؟
 - رَبِّمَا كَانَ بَرِيئًا أَوْ مَكْنُوءًا عَلَيْهِ ؟
 ثُمَّ تَذَكَّرَ كَيْفَ نَحَلَ الثَّوْرَ عَلَيْهِ غَاضِيًا وَثَائِرًا فَقَالَ :
 - لَكَيْفَ كَانَ حَرِيصًا عَلَيَّ قَتْلِي .. لَوْ لَمْ أَكُنْ أَنَا لِمَسَارِعِ
 هُوَ لَقَتَلَنِي ..



وَبَعْدَ قَلِيلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ (بِئْسَ) فَقَالَ لَهُ :
- مَاذَا يُخْبِرُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَقَدْ تَصَرَّفَ اللَّهُ ، وَأَهْلَكَ
عَدُوَّكَ ، الَّذِي سَعَى لِقَتْلِكَ ؟ يَحِقُّ لَكَ أَنْ تَفْرَحَ بِدَلَا
مِنْ أَنْ تُحْزِنَ ، وَتَجْلِسَ مَهْمُومًا هَكَذَا ..
فَقَالَ الْإِسْدُ :

- أَنَا حَزِينٌ مِنْ أَجْلِ عَقْلِ (شَيْثْرِيَّة) وَعَلَمِيهِ وَأَذِيهِ .
وَلَا تُفَسِّسْ أَنَّهُ كَانَ أَخْلَصَ صَدِيقًا لِي بِالنَّصِيحَةِ ، وَأَنَّهُ
كَانَ مُسْتَشِيرًا لِي وَكَاتِبًا أَسْرَارِي ..
فَقَالَ (بِئْسَ) :

- الْعَاقِلُ لَا يَرْحَمُ أَعْدَاءَهُ ، وَقَدْ كَانَ (شَيْثْرِيَّة) عَدُوَّكَ
لِأَنَّهُ كَانَ يَتَوَلَّى قِتْلَكَ ، وَالِاسْتِيْلَاءَ عَلَى مَلِكِكَ ..
فَقَالَ الْإِسْدُ حَزِينًا :

- لَقَدْ مَضَى هَذَا الْأَمْرُ بِخَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، وَأَرْجُو
أَنْ أَمْسَاةً بِسَهْوَةٍ ..



أما النمر فإِنَّهُ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ مَا دَارَ بَيْنَ (كَلِيلَةَ) وَ(دُمْنَةَ)
مِنْ كَلَامٍ ، وَعَلِمَ بِخِيَانَةِ (دُمْنَةَ) وَغَدَرِهِ ، فَإِنَّهُ تَوَجَّهَ مُبَاشَرَةً
إِلَى أُمِّ الْأَسَدِ ، وَأَخَذَ عَلَيْهَا الْعُهُودَ وَالْمَوَاقِيقَ الَّتِي تَقْضِي مَا سَوَّفَ
يَبْجُوحٌ بِهِ إِلَيْهَا مِنْ اسْتِرَارٍ لِأَخِيهِ ..

فَلَمَّا عَاهَدَتْهُ عَلَى ذَلِكَ ، أَخْبَرَهَا بِكُلِّ الْحَوَارِ الَّذِي دَارَ
بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ (كَلِيلَةَ) وَ(دُمْنَةَ) وَكَيْفَ أَنْ (دُمْنَةَ) قَدْ خَدَعَتْ
الْأَسَدَ وَكَذَبَتْ عَلَيْهِ ، حَتَّى قَتَلَ (شَيْثَرِيَّةَ) بِدُونِ نَذِيرٍ
أَوْ جُنَايَةٍ ارْتَكَبَهَا .. ثُمَّ انْصَرَفَ ..



فنهضت الأم ، متجهة إلى الأسد ، قلما تخلت عليه ،
ونظرت إليه وجده تجلس حزينا مهطوما على صديقهِ
(شبرية) فقالت له :

- ما هذا الحزن الذى يغلو وجهك ، والضيق الذى يملأ صدرك ،
والهم الذى يكاد يقتلك يا بني ؟

فتنهت الأسد فى ضيق ، وقال فى ألم :
- يحزننى قتل (شبرية) ولا تسنى يا أمى أنه كان خير صاحب ،
وأفضل ناصح ، وأحسن من استشيرته فى أموري كلها ، وابنته
أستراى حلوها ومرها ..



فَقَالَتِ الْأُمُّ مُعَاتِيَةً :

- وَكَيْفَ تُقَدِّمُ عَلَى قَتْلِ (شَبْرَبَةَ) ذُوْنَ عِلْمٍ أَوْ يَقِيْنَ بِعَدَاوَتِهِ ،
وَحَتَّى قَبْلَ أَنْ تُكَلِّبَ خِيَانَتَهُ ؟ إِنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ بِخِيَّتِهِ .. وَلَوْلَا
أَنْ يَلْحَقَنِي الْإِلَهَ وَيَرْكِبَنِي الذَّنْبُ بِسَبَبِ إِذَاعَةِ الْأَسْرَارِ ، لَأَخْبَرْتُكَ
بِمَا عَلِمْتُ ..

فَقَالَ الْأَسَدُ :

- إِذَا كَانَ عِيْدُكَ رَأَى يَا أُمِّي فِيمَا حَدَّثَ فَلَا تُخْفِيهِ عَلَيَّ وَإِنْ كَانَ
أَحَدٌ قَدْ أَذَاعَ إِلَيْكَ سِرًّا فَأَخْبِرِينِي بِهِ ..
فَأَخْبَرَتْهُ الْأُمُّ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَهَا بِهِ النَّمِرُ ، ذُوْنَ أَنْ تَذْكُرَ لَهُ أَنَّ
النَّمِرَ هُوَ الَّذِي بَاحَ إِلَيْهَا بِذَلِكَ ..
فَعَلِمَ الْأَسَدُ أَنَّ (دِمْنَةَ) قَدْ كَذَبَ عَلَيْهِ وَخَدَعَهُ ، وَأَنَّهُ مَشَى بِالنَّمِرِ
وَالْخِيَانَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ (شَبْرَبَةَ) حَتَّى أَوْقَعَ بَيْنَهُمَا ..



وَلَمَّا انْتَهَتْ الْأُمُّ مِنْ حَدِيثِهَا ، اسْتَدْعَى قَادَةَ جُنْدِهِمْ ، وَأَمَرَهُمْ
 أَنْ يَقْبِضُوا عَلَى (دُمْنَةَ) وَيَحْضِرُوهُ فِي الْحَالِ ، مَكْبِلًا بِالْأَغْلَالِ ..
 فَلَمَّا مَثَلَ (دُمْنَةُ) بَيْنَ يَدَيِ الْأَسَدِ ، وَرَأَاهُ حَزِينًا غَاضِبًا قَالَ لَهُ :

- مَا الَّذِي حَدَّثَ أَبُوهَا الْمَلِكُ ؛ حَتَّى تَأْمُرَ جُنْدَكَ فَيَأْتُوا بِى مَكْبِلًا

عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ الْمُسَيِّئَةِ ؟

فَقَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ :

- مَا حَدَّثَ أَنَّ الْمَلِكَ لَنْ يَدْعَكَ تَعِيشُ بَعْدَ الْيَوْمِ طَرَفَةً غَيْرَ

أَبُوهَا الْخَائِنُ الْغَادِرُ الْمُخَارِعُ ..

فَتَعَجَّبَ (دُمْنَةُ) قَائِلًا :

- أَيْ ذَنْبِ جَنَيْتُ حَتَّى يَقْتُلْنِى الْمَلِكُ ؟



فَقَالَتِ الْأُمُّ :

- أَتَيْتِ ابْنِي بِجُرْمِكَ وَأَعْلَمْتُ بِذَنْبِكَ ..

فَقَالَ (بِشْتَه) مُرَاوَعًا :

- مِنَ الصُّوَابِ الْإِيجَالُ الْمَلِكُ فِي قِشْلِي ، لِمُجَرَّرِهِ كَلَامُ خَائِبٍ
قَدْ يَكُونُ سَمِيعَةً عَنِّي .. لَسْتُ أَقُولُ ذَلِكَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ ، لَأَنَّ كُلَّ
حَيٍّ لَا يَدْرِي أَنَّ يَذُوقُ الْمَوْتَ مَهْمَا طَالَ فِي الْحَيَاةِ عُمُرُهُ ..

فَقَالَ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ :

- إِنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ ، وَالْجَمَاسَةُ لَعَنَرِ تَقَرُّ بِهِ مَبْنِيَّةٌ ..

فَقَالَ (بِشْتَه) :

- وَمَا الْغَيْبُ فِي أَنْ يَلْتَمِسَ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ عُذْرًا يَنْجُو بِهِ مِنَ
الْمَوْتِ ؟ هَلْ هُنَاكَ أَغْلَى مِنَ النَّفْسِ ؟



فَقَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ :

لَقَدْ عَجِنتُ مِنْ جُرْأَتِكَ أَيُّهَا الْكَانِبُ الْمُحْتَالُ ، وَشِدَّةِ وَقَاحَتِكَ ..
فَقَالَ (يَمْنَةُ) :

- لَأَنْتَ تَنْطَرِينَ إِلَيَّ بَعِثَنَ وَاحِدَةً ، وَتَسْتَضَعِينَ مِنِّي بَأْذَنَ
وَاحِدَةٍ ؛ فَلْيُتَصَلَّى إِلَى مَغْرَقَةِ الْحَقِيقَةِ أَبَدًا ..
فَقَالَتِ الْأُمُّ مُتَعَجِّبَةً :

- وَمَا هِيَ الْحَقِيقَةُ أَيُّهَا الْكُتُوبُ الْمُحْتَالُ ؟

فَقَالَ (يَمْنَةُ) فِي تَجَلُّحٍ :

- لَقَدْ سَعَى بِخُضْنِهِم بِالنَّمِيمَةِ عَلَى عِندِ الْمَلِكِ ، وَلَا نَدَى
أَنْ يَكُونَ قَدْ لَفَّقَ لِي تَهْمَةً بَاطِلَةً ، وَجَرِيمَةً لَمْ ارْتَكِبْهَا ..
فَقَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ غَاضِبَةً

- الْآثَرُونَ هَذَا الشَّقِي ، الَّذِي يُحَاوِلُ أَنْ يُصَوِّرَ
نَفْسَهُ بِصُورَةِ الْبَرِّ ، مَعَ عَظَمِ ثَنِيهِ ؟



فَقَالَ دُمْنَةُ فِي تَسْلُخٍ

- الشَّقِيُّ هُوَ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفَى عَنْ نَفْسِهِ نَهْمَةً بِأَجَلَةٍ
لَحِقَتْ بِهِ مِنْ بَطَامِ حَقُودٍ

وَقَتْلَ دُمْنَةَ بَجَارٌ بِالْبَاطِلِ ، وَيَنْفَى عَنْ نَفْسِهِ النَّهْمَ الْمُؤْجِبَةَ إِلَيْهِ
وَلَمْ يَطْلُقِ الْأَسَدُ أَنْ يَسْتَتِمَعَ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْحِيلِ وَالْكَذَائِبِ ،
الَّتِي رَاحَ (دُمْنَةُ) يُلْفِقُهَا ، حَتَّى يَفِرَّ بِنَفْسِهِ

عَاصِدُ امْرَأَةٍ بَانَ يَسْلُمُ (دُمْنَةُ) إِلَى الْغَاضِي ، حَتَّى يَحْقُقَ مَعَهُ ،
وَيُحَدِّدَ مَدَى مِرَاقَعَةٍ مِنْ خُرَاصِهِ ، ثُمَّ يُصْدِرُ عَلَيْهِ حُكْمَهُ
الَّذِي يَرَاهُ ، حَتَّى يَأْخُذَ الْعَدْلُ مَخْرَافَ
قَاصِرِ الْغَاضِي بَانَ يَوْعُ (دُمْنَةُ) فِي السَّجَرِ ، حَتَّى تُشَدَّ
إِجْرَاءَاتُ مُجَاكَمَتِهِ وَهَكَذَا أَوْدَعَ الْحُرَاسُ (دُمْنَةَ)
فِي السَّجَرِ



وفي أثناء الليل أرسل (بمنة) إلى أخيه (كليمة) فحضر إليه
متخفياً ..

ولما رآه (كليمة) في قلوبهم داخل السجن بكى من منظره وقال له :
- هل رأيت يا أخي عاقبة عدم استماعك إلى نصحي ومطاعيتك
بين الناس بالنعمية ، وقلبك الأبرياء بالعدو والخديعة ..
لقد نصحتك ، لكنت لم تستمع إلي نصحي ، ولو أنني كنت
قد قصرت معك في النصيحة ، ووافقتك على فعلك القبيحة ،
لكنت شريكك في الجرم ، وكنت معك الآن في السجن ..
فقال (بمنة) :

- لقد تأكدت الآن من إخلاصك في نصحي ، لكنتي قد ارتكبت
جرمي ، ولن يجزي الندم الآن ..
واستمر الحوار بينهما بفترة ..



وَكَانَ قَرِيبًا مَبْنًى فِي السَّجْنِ فَهَدَّ مِنَ الْحُرَّاسِ ، فَسَمِعَ
 خَلَامَهُمَا ، وَعَلِمَ أَنَّ (بِمَنَّةَ) مُجْرِمٌ ، وَأَنَّ (خَلِيلَةَ) بَرِيءٌ ، فَحَفِظَ
 مَا دَارَ بَيْنَهُمَا مِنْ حُوَارٍ ، حَتَّى يَكُنَّى بِهِ إِلَى الْقَاضِي ، إِذَا احْتِيَاجٌ
 إِلَى شَهَادَةٍ ..

وَكُنِيَ الصَّبَاحَ جَلَسَ الْقَاضِي فِي مَجْلِسِهِ ، وَأَمَرَ الْحُرَّاسَ
 أَنْ يُحْضِرُوا (بِمَنَّةَ) مِنَ السَّجْنِ ، حَتَّى تَبْدَأَ إِجْرَاءَاتِ مُحَاكَمَتِهِ
 الْعَلَنِيَّةِ ، وَالتَّى حَضَرَهَا الْجُنْدُ وَالْكَثِيرُ مِنَ الرِّعِيَةِ ..
 وَبَدَأَ الْقَاضِي افْتِتَاحَ الْمُحَاكَمَةِ بِقَوْلِهِ :

- أَيُّهَا الْجَمْعُ ، لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْمَلِكَ ، سَيَدُ السَّبَاحِ ، قَدْ أَصَابَهُ
 الْكَثِيرُ مِنَ الْغَمِّ وَالْهَمِّ ، لِقَتْلِ صَدِيقِهِ وَأَخْلَاصِ أَغْوَانِهِ وَمُسْتَشَارِهِ



النَّاصِحِ الْأَمِينِ (شَيْثْرِيَّة) لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّهُ قَتَلَ (شَيْثْرِيَّة) بِغَيْرِ ذَنْبٍ
جَنَاحَهُ ، وَأَنَّهُ لَوْلَا كَذِبُ (بِمْنَةُ) وَسَقِيَّةُ الْكَذِبِ وَالنَّمِيمَةِ بَيْنَهُمَا
مَا قَتَلَهُ ..

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْجَمْعِ الْخَاشِعِ الَّذِينَ حَضَرُوا لِشُهُودِ السَّخَاكَةِ
وَقَالَ :

- فَعَلَى أَيِّ شَخْصٍ مِنْكُمْ يَعْلَمُ أَيُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ ذَلِكَ الْخَاشِعِ
(بِمْنَةُ) سِوَاءَ أَكَانَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى هُنَا وَيُخْبِرَنِي بِهِ ،
حَتَّى يَسْمَعَهُ الْجَمِيعُ ، وَحَتَّى تُلْتَمِثَ أَنْ (بِمْنَةُ) يَرَى فَإِنْ ثَبَتَ ذَلِكَ
بِرَأْيِهِ ، وَإِنْ كَانَ جَانِبًا حَكَمْنَا عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ عِقَابًا عَلَى قَتْلِ (شَيْثْرِيَّة) ..
وَأَضَافَ الْقَاضِي مُحَذِّرًا :

- وَإِيَّاكُمْ وَشَهَادَةَ الزُّورِ أَوْ الْكَذِبِ ، لِأَنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْخَطَايَا



شهادة الزور .. ومن أعظمها أيضا قتل الجريح بدون ذنب
والسعي بين الناس بالغبينة والنميمة والكذب والإيقاع بينهم ،
حتى يقتل بعضهم بعضا ، كما حدث ..

وَمَنْ عَلِمَ شَيْئًا مِنْ جُرْمٍ (بِئْثَرَةٍ) وَأَخْفَاهُ يَكُونُ مُشَارِكًا لَهُ
فِي الْإِثْمِ وَالْجَزِيْمَةِ ، وَسَيِّئَالُهُ مِثْلُ مَا يَنْتَالُ (بِئْثَرَةٍ) مِنَ الْعِقَابِ ..
لَقَالَ (بِئْثَرَةٍ) مُحَذَّرًا هِيَ تَنْجُحُ :

- مَنْ شَهِدَ بِمَا لَمْ يَرِ أَوْ يَسْمَعُ كَانَ أَشَدَّ جُرْمًا مِنْ أَرْتَكِبَ
الْجُرْمَ نَفْسَهُ ، وَأَنَا أَحْذَرُكُمْ مِنَ الشَّهَادَةِ عَلَى زُورٍ ، حَتَّى تَقْلُقُوا
لِي النُّهْمَةَ ، وَتَرْضَوْا الْأَسَدَ ..

وَمِمَّا قَامَ الْخُزَيْرِيُّ وَقَالَ :

.. أَنَا لَدَى مَا أَحَبُّ أَنْ أَتَلَّى بِهِ بِخُصُوصٍ ذَلِكَ الْمُجْرِمِ الْوَاقِفِ فِي الْقَنْصِ ..

(10)

1997, p. 142, fn. 22.

البريد الإلكتروني: 447-793-710-7

الخطبة القادمة:

Figure 1

